مخطوطة من روائع فنّ الكتاب الإيراني

ريناته فرنكه

تُعَدُّ «مخطوطة بايسنقر» الإيرانية ذات الرسوم المنمنمة الرائعة في نفائس المخطوطات. لقد أُنجزت هذه المخطوطة في الشطر الأوّل من القرن الخامس عشر؛ وهي الآن من أبهر التحف المحفوظة في المتحف الإسلامي ببرلين.

وقد كان من نتائج الحرب العالميّة الثانية أن قُسم هذا المتحف قسمين، جُعل كلٌّ منهما في مبنى مستقلّ. وظلّ التقسيم قائمًا عدّة عقود. فلمّا أعيدت وحدته، أقام المتحف الإسلامي عرضا خاصا بمناسبة حلول العام الجديد 1992، أعلم فيه بأنّ الرسوم المنمنمة النفيسة التي قُسّمت بين الشرق والغرب قد جُمعت الآن من جديد في مخطوطة واحدة.

هذا، وقد أُعِدّت هذه المخطوطة بشيراز في حولى 1420 للأمير التيموري بايسنقر (1397 – 1433)، وهي مزخرفَة الصفحات ومحتوية على تسعة وعشرين رسما منمنما، أي صورة صغيرة. وشرح العرض الظروف التي مكّنت المتحف من اقتناء هذه المخطوطة. فكما يتبيّن من محضرٍ محرّر ومن إيصالٍ، دُفع في يوم 24 أبريل 1925 مبلغ خمسة آلاف مارك ألماني لسيّدةٍ توسّطت لأمير أفغانستان في بيع المخطوطة.

وقد عُرضت مخطوطة بايسنقر في عدّة معارض دوليّة، منها، مثلا، المعرض الكبير للفنّ الإيراني الذي انعقد في لندن عامَ 1931.

وتحتوي المخطوطة التي هي مختارات من الشعر الفارسي على تسجيلات موثوق من صحّتها. تخبرنا بالذي كُلّف بإعداد هذه المخطوطة، وبتاريخ إعدادها، وبمكانه، وكذلك بالخطّاط الذي خطّها. وجاء في كلمة الإهداء التي كُتبت بخطّ أبيض على أرضيّة ذهبيّة أمام غصن أخضر متسلّق أنّ هذه المخطوطة أُنجزت بتكليف من مكتبة الأمير بايسنقر الذي كان مقيما بمدينة هراة في ذلك الوقت. ويذكر الخطّاط اسمه في ثلاثة أماكن من النصّ، وهو محمود الحسيني. كما يخبرنا بأنّ الفراغ من إعداد مجلّد المخطوطة قد كان بقصر شيراز في عام 823 للهجرة (1420 م). وكان الأمير إبراهيم سلطان، أخو بايسنقر، يسكن وقتئذ ذلك القصر. فمما لا شكّ فيه أنّ هذه المخطوطة تأتي من ضمن التحف الفنّية المعمولة في عهد التيموريّين.

وإن كان تيمورلنك قد نشر الرعب والفزع في العالم، فإنّ أحفاده دعموا العلم والفنّ، ولا سيما أبناء شاهرُخ ميرزا (1377 – 1447). فأكبرُهم، وهو أُلُغ بك، كان فلكيا معروفا؛ وأخواه الأصغران، إبراهيم سلطان وبايسنقر، كانا خطّاطَين ذوَي شأن، اشتهرا ببراعة نادرة، وفاقا الخطّاطين في زمانهم، كما يُقال. وقد أسّس بايسنقر مكتبة في هراة، عمل فيها من الكتّاب وحدهم أربعون، وعمل فيها فنّانون متخصّصون في مجالات شتّى، كالرسم، والتمويه بالذهب، والتجليد. بيد أنّ المخطوطة المذكورة لم تأت من مكتبة بايسنقر بهراة، وإنّما طُلبت من شيراز تلبية لرغبة هذا الأمير. ومعروفٌ عن الأخوين إبراهيم وبايسنقر أنّهما كانا شغوفين بالكتب؛ وقد كانا يتراسلان الرسائل الأدبية. فليس بعيدا أن يكون بايسنقر استوهب من أخيه المخطوطة المذكورة لعلمهما بقيمة مثل هذا العمل الرائع.

تقع المخطوطة في 950 صفحة، محفوظة في متحف برلين كاملةً. ويأتي في بدايتها كلمةُ الإهداء الرائعة، يليها أربعة أزواج من الصفحات المزخرفات، في الزوجين الأولين العنوانُ والفهرست، وفي الزوجين التالين بداية النصّ.

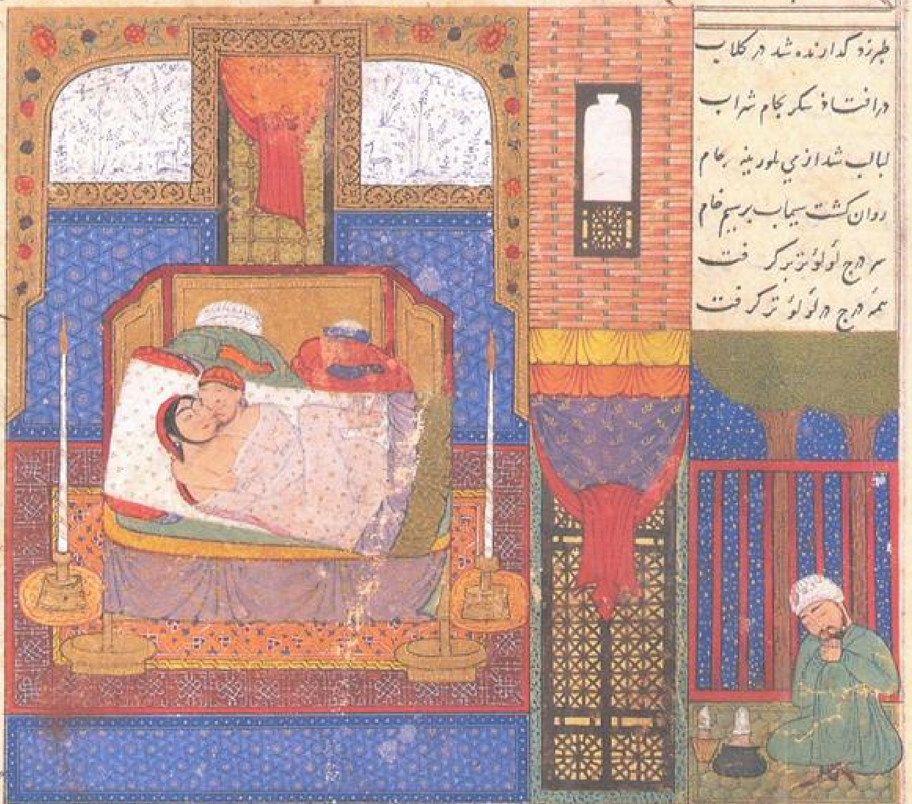
وابتُدئت المخطوطة بمنتخبات من شاهنامه الفردوسي (943 – 1020)، تلاها كتاب «منطق الطير»، وهو تأليف صوفيّ لفريد الدّين عطّار (1119 – 1220). ثم تصدّر المخطوطةَ «پنج كنج»، أي الكنوز الخمسة، وهي خمس منظومات قصصيّة لنظامي كنجوي (1141 – 1209). واختُتمت المخطوطة بخماسيّتين، إحداهما لخواجو كرماني (1280 – 1352)، والأخرى للأمير خسرو دهلوي (1253 – 1325). وهما من الشعراء الذين تباروا في تقليد نظامي كنجوي. وكُتبت النصوص الرئيسية في أربعة أعمدة في صدور الصفحات.



رستم يقاتل أفراسياب

ایضاً له

ای صفای چشم جان بس من را نور از تو
جدا باشم من سودا زده مهجور از تو
جان شیرین منی تا شده دور از من
شمع دل افروز منی سوخته ام دور از تو
ار زدۀ کند ای چشم [illegible] صاحب
شد تن [illegible] دور از تو
خیال [illegible] تن [illegible]
کوی [illegible] من [illegible] از تو
[illegible] طلب
زحیا بیدلی [illegible] از غم [illegible]
اقبال [illegible] دور از تو
[illegible] رسد [illegible]
کو [illegible] جین [illegible] مجور از تو
وصل [illegible] دور از تو
[illegible] مستور از تو



طبرزد گدازنده شد در گلاب
در افتاد شکر بجام شراب
لباب شد ازین بلورینه جام
روان گشت سیماب بر سیم خام
سر درج لولوی تر برگرفت
بمهر درج لولوی تر گرفت

جو شهباز با زار سیدان جهاند
جهان تیز رو بور گلگون شاه
بگلبرگ برزد گلاب نشاط
ز درج گهر شاخ مرجان برست
شکر در کنار و رطب در میان
در رنگ شبانروز با یکدگر
صنوبر بدیبا بیاراستند
شه مجلس آرای پستان فروز

ز میدان ترک شان خون براند
که ریشش یکی بود با خون و جاه
گشت آتش غم باب نشاط
بلولو صدف شاخ مرجان نشست
طبرزد بپت وعسل در دهان
نکردند جز خواب کاری دگر
پس از جام جام طرب خواستند
نیامد برون او حرم چند روز

گیت روانش چو بر میکشید
جو سر بر زدان توسن بد لگام
جوان شمع شب تاب پستان فروز
جو الماس شد لعل پرداخت
شبانروزی از خواب باز آمدند
جو پیر برگرفتند از جای خواب
ثنایش گرفتند بر داد گر
گهی لابه میکرد و گاهی طرب

یکی کام ده میل ره می برید
زبان نشاطش فرو شد بکام
برفت از گلش آب پستان فرو دند
شد ایوان پر از لعل بگداخته
روان بر در و دلنواز آمدند
بشستند خود را بمشک و گلاب
که آوردشان در درودی بپر
گهی قند میخورد و گاهی رطب

ایضاً له

فصحت میکند دوم [illegible] پنهوری
ر دو ناصح تو [illegible] دانی معذوری
جانا [illegible] تو [illegible] خواب خوش [illegible]
عجب دارم [illegible] مجوری
[illegible] خواب [illegible]
[illegible] صدا [illegible] صبوری
[illegible] بیا نامه دوری

ایضاً له

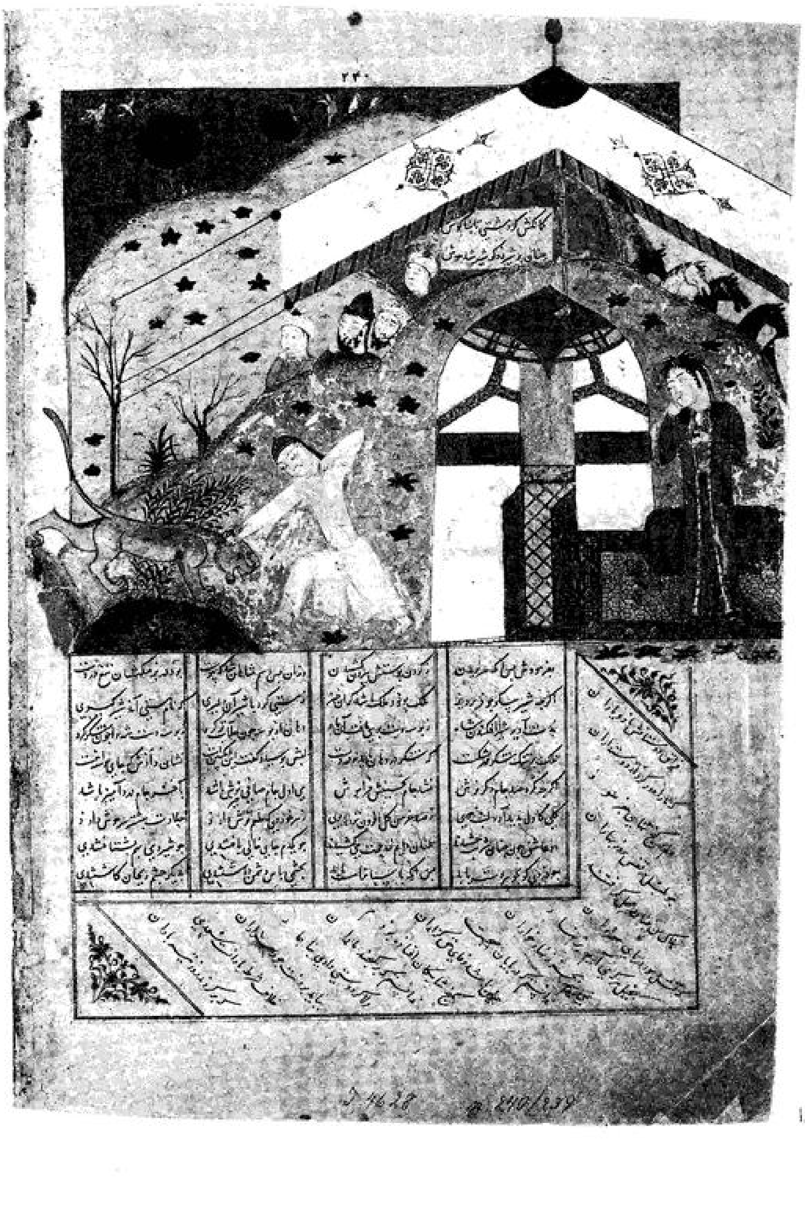
ازین تنهای دلخوری در تنهای دلخوری
بی ای کلم روزی [illegible] آخر [illegible] سلطان
[illegible] خدمت [illegible] کاروزی
[illegible] وصل [illegible] صحبت دارم
کر توان [illegible] بود [illegible] عشق [illegible] صبوری
دل عشق [illegible] عشق باز [illegible]
که خواهد بود [illegible] جان تن دوری
بیا جانا [illegible] صحبت را غنیمت دان
[illegible] جی [illegible]

همای وهمایون في عشق الغرام

وكُتب من حولها على الحواشي بخطّ مائل قصائدُ شعرية قصيرة من أزمنة مختلفة . تمتدّ إلى القرن الخامس عشر .

أمّا الرسوم المنمنمة التسعة والعشرون ، فقد وُزّعت في المخطوطة توزيعا غير متساوٍ . يجعل في الصدارة شعر نظامي الذي خُصّص له أربعة عشر رسما . وتتّسم الرسوم بسمات مدرسة الرسم الشيرازية التي تتميّز باقتصار الصور على عناصر قليلة . أمّا إخراج الصور المحكم الذي يبرز ببراعة أهمّية الأحداث ، فهو ميزة خاصّة بمخطوطة بايسنقر هذه : نشهد المعامع الحامية ، والأشكال المعمارية التي تعطي انطباع الفسحة ، ونشهد الإشارات البليغة ، والتداخلات الجريئة . كلّ هذا يُظهر الإقدام على التجديد الفنّي . وتذكّرنا عناصر أخرى ، كالصخور الغريبة الشكل ، والسحب المترهّلة ، ببعض صور الشرق الأقصى التي كان الإعجاب بها آنذاك شديدا في العالم الإسلامي . ومعلومٌ أنّ العلاقة بين شرق آسيا والصين كانت وثيقة على نحو خاصّ في إبّان دولة التيموريّين .

ويدور موضوع أشعار هذه المخطوطة حول الحبّ ، والكفاح ، والبطولة ، وحول الانتصار على الأعداء ، والبحث عن السعادة . وترينا الصور جيادا متّقدة النشاط ، ودارًا وهي هاربة من إسكندر ، ومجنونا بين الوحش ، وسلطان سنجر مع العجوز ، وصيدَ الأسود ، ونساء جميلات ، وجيوشا متقاتلة ، وعشّاقا يتبادلون يمين الحبّ في حنان . صورٌ رائعة الفنّ ، محكمة النسق ، تسرّنا وتحرّك عواطفنا كما سرّت الناس وحرّكت عواطفهم في ذلك العهد البعيد . ●



خسرو يقتل أسدا